

مسالك التربية والتكوين

ISSN (Print) : 2550-5165

ISSN (online): 2737-8012

<https://revues.imist.ma/index.php/massalek>

تدريس وتعلم الجغرافيا بالجامعة المغربية: بين الإكراهات ومتطلبات التطوير
(دراسة حالة)

Teaching and learning geography at the moroccan university: between
constraints and the requirements for improvement
(case study)

عبد الواحد العمراني

كلية اللغات والفنون والعلوم الإنسانية، القطب الجامعي أيت ملول - جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب

elamrani2030@gmail.com

الاستلام: 19 مارس 2021م، القبول: 11 يونيو 2021م

DOI: <https://doi.org/10.48403/IMIST.PRSM/massalek-v4i1.25414>

ملخص :

يروم هذا المقال معالجة إشكالية أساسية تتعلق بإكراهات تدريس العلوم الإنسانية بشكل عام، وتدريس الجغرافيا بشكل خاص بالجامعة المغربية. ذلك أن اكتساب الطلبة المعارف والمهارات المنهجية والسوسيو عاطفية في حقل الجغرافيا تعترضه عدة معوقات؛ كما أن آفاقه المستقبلية تبقى غير واضحة في ظل تداخله مع تخصصات علمية أخرى، يتقاسم معها مناهج وأدوات البحث، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى التشويش على الهوية الجغرافية للتخصص والباحث. كل هذا يجعل تصريف المكتسبات المعرفية والمنهجية أمرا أصعب عند ولوج الطلبة أسلاك التربية والتعليم. وفي هذا الصدد، اعتمدنا منهجية ميدانية واضحة ارتكزت أساسا على إجراء المقابلات وتعبئة الاستمارات مع عينة من طلبة سلك الإجازة. وقد خلصت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية: أولا، أن اكتساب المعارف والمهارات التقنية والمنهجية في الجغرافيا يرتبط بشكل أساسي بطبيعة الوحدات المدرسية وبالمحيط الجامعي. ثانيا، أن الجغرافيا باعتبارها علم مزدوج، نظري وتطبيقي، فأفاق تطويره رهينة باعتماد الأعمال التوجيهية في جميع الوحدات. ثالثا، أن منافسة هذا العلم من طرف مجموعة من العلوم المهمة بالمجال، تجعل الطالب يفقد هويته عند معالجة بعض الموضوعات؛ فضلا عن أن الآفاق المستقبلية تصبح لديه غير واضحة في ظل هذه المنافسة. كلمات مفتاحية: علوم إنسانية - جغرافيا - إكراهات - آفاق - جامعة مغربية - أكادير.

Abstract

The main objective of this article is to highlight the main challenges that students face during the learning of the geography modules as a fundamental degree at the Moroccan university. It also aims to present future prospects for the teaching of geography. In this regard, we have adopted a methodology based on a questionnaire, and Series of interviews with students and teachers. The main results of this article are as follows: firstly, the acquisition of knowledge and methodological tools by students is related to the nature of the geography modules and also to the academic environment; secondly, the perspectives on improving geography, as a science that combines both theory and practice, depend on the integration of practical work into all modules. Finally, the competition of the geography from other fields concerned with the same issue, and analyzing area studies influences the identity and future of this science.

Key words: Humanities - Geography - Constraints - Perspectives - Moroccan University - Agadir.

مقدمة

تواجه عملية تدريس وتعلم العلوم الإنسانية والاجتماعية عدة اكرهات وتحديات، ذلك أن فروع هذه العلوم ترتبط بتحليل عناصر متحركة غير متحكم فيها، كما أن نتائجها غير قابلة للقياس بشكل دقيق، ولا تظهر على أرض الواقع بشكل ملموس. وفي هذا السياق، فتدريس وتعلم وحدات الجغرافيا بالجامعة المغربية، تواجه عدة اكرهات، منها ما هو مرتبط بطبيعة الوحدات المعتمدة، ومنها ما له علاقة بكيفية التنزيل الديداكتيكي (فانديي، 2015) للمعارف الجغرافية. وهكذا، فتدريس الجغرافيا يركز على تلقين الطالب معلومات ومفاهيم جغرافية، منظمة في وحدات موزعة على الفصول الدراسية؛ والتي يتم تصريفها في شكل محاضرات ودروس، على اعتبار أن الهدف الأساسي يتمثل في ضرورة اكتساب الطالب المعارف النظرية بعيدا عن الإعداد المنهجي والمهني. لذلك فعلمية التدريس تنبني أساسا على عملية الحفظ والاستظهار دون توظيف مختلف العمليات الفكرية والذهنية في تحليل التفاعلات التي تنشأ عن الظواهر الجغرافية، والتي تعتبر أساس النهج الجغرافي (الوصف، والتفسير ثم التعميم) (Zagor, 1990).

وبناء على ما تقدم، فمخرجات العملية التعليمية التعلمية الخاصة بالجغرافيا - في الغالب - تكون غير متطابقة مع الأسس والمقومات الإيستيمولوجية التي تؤطر هذا العلم (الموضوع، والمنهج والوظيفة المجتمعية) (بلفقيه، 2002)، الأمر الذي جعل البحث الجغرافي خلال العشرية الأخيرة، يسقط في عملية إستيلا مع علوم مجاورة، حينما أصبح يقلدها. وبهذا إعادة النظر في الإطار الوصفي لمسلك الجغرافيا، وتكييفه مع المستجدات أصبح ضرورة ملحة، بهدف استشراف آفاق ومستقبل هذا العلم، حتى توظف نتائج أبحاثه في مختلف مشاريع المنظومة التنموية.

أولا: الإطار المنهجي

1- الإشكالية

تعالج هذه الدراسة مسألة أساسية ترتبط بتشخيص واقع حال تدريس وتعلم الجغرافيا بالجامعة المغربية، وذلك من خلال إبراز أهم الاكرهات التي تواجه الطلبة عند تعلم وحدات الجغرافيا. ذلك أن علم الجغرافيا نظرا لارتباطه الكبير بالمجال فوحداته تركز على المحيط المحلي، فضلا عن العمليات التقنية والمهارية، وهو ما يطرح صعوبات جمة عند الطلبة في استيعاب محاور بعض الوحدات؛ وخاصة تلك التي تعتمد على العمليات الرياضية في حساب مجموعة من المؤشرات. وهكذا، فاستنادا إلى المفاهيم الواردة في موضوع الدراسة وكذا التأطير الوارد في إشكاليته، يمكن طرح التساؤلات الآتية:

- ✓ هل ترتبط اكرهات تدريس وتعلم الجغرافيا في الجامعة بعدم وجود تقاطعات أفقية وعمودية بين الوحدات؟ أم يتداخل المفاهيم والمعارف بين هذه الوحدات؟
- ✓ هل ترتبط اكرهات تعلم وحدات الجغرافيا بعدم التكامل والتجاسر بين التعليم الثانوي والتعليم الجامعي؟ أم بطرائق التدريس وكيفية تصريف وتنزيل المعرفة الجغرافية؟ وهل يرتبط ذلك بعدم الربط بين الجانب النظري والتطبيقي، أم بضعف وقلة الإمكانيات ووسائل الاشتغال؟
- ✓ ما هي آفاق تطوير عملية اكتساب وتعلم الكفايات التطبيقية والمنهجية المرتبطة بتحليل عناصر المنظومة المكانية، للنهوض بواقع التدريس بالتعليم العالي والتخفيف من حدة الهدر الجامعي؟

2- أهداف الدراسة وأهميتها

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال كونها ستسهم في كشف الخلل الناتج عن عدم الانسجام في تدريس وتعلم الجغرافيا بين الجانب النظري، الذي يخدم ويحسن المعرفة من خلال تجديد النظريات وتطويرها، والجانب التطبيقي، الذي يسعى لتطبيق المعارف النظرية المكتسبة والحقائق العلمية. وهكذا، نسعى من خلال هذه الدراسة تحقيق الأهداف الآتية:

- ✓ إبراز أهم التحديات والاكراهات التي تواجه الطلبة في التمكن من الكفايات المعرفية والمنهجية والتطبيقية في التكوين الجغرافي؛
- ✓ التنبيه إلى أهمية إعادة النظر في الإطار الوصفي لوحدة مسلك الجغرافيا، وفي عمليات التوجيه الجامعي؛
- ✓ تسليط الضوء على آفاق تطوير طرائق تدريس وتعلم وحدات الجغرافيا بسلك الإجازة؛
- ✓ بلورة رؤية شمولية في التخصص ذاته لترتيب وحدات ومحاور مسلك الجغرافيا بسلك الإجازة، وذلك بشكل يراعي التدرج والتكامل المعرفي (ملاوي، 2012) والمنهجي والتقاطعات الأفقية والعمودية بين الوحدات والفصول؛

3- المنهج والمنهجية المتبعة في انجاز الدراسة

اعتمدنا في انجاز هذه الدراسة حول رصد واقع تدريس وتعلم وحدات الجغرافيا بالجامعة المغربية، على المنهج الوصفي التحليلي، والذي يركز على وصف وتحليل النتائج التي يتم التوصل إليها في أشكال وقيم رقمية معبرة يمكن تفسيرها (وحدي دويدري، 2000). بالإضافة إلى ذلك فمعالجة إشكالية التحديات التي تواجه الطلبة عند تعلم وحدات الجغرافيا، تطلب منا وضع مقارنة منهجية ارتكزت أساسا على العمل الميداني. وفي هذا السياق، ومحاولة منا لجرد مختلف التحديات التي تواجه الطلاب في اكتساب الكفايات المعرفية والمنهجية المتعلقة بوحدات علم الجغرافيا، وكذا إبراز أهم آفاق تطوير التدريس بهذا المسلك، فقد سلكنا الخطوات المنهجية الآتية:

- ✓ الإطلاع على الأعمال البيبليوغرافية والتي لها علاقة بموضوع الدراسة، قصد إغناء الرصيد المعرفي حول موضوع تدريس العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام، وتدريس الجغرافيا بشكل خاص (أنظر قائمة المراجع)؛
- ✓ اختيار عينة عشوائية طبقية تضم 300 طالب موزعة بين طلبة الفصل الأول والثالث والخامس من سلك الإجازة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر أكادير، حيث قمنا بإنجاز المقابلات وتعبئة الاستمارات.
- ✓ تفرغ معطيات الاستمارات الميدانية في شكل جداول إحصائية اعتمادا على برنامج SPSS.
- ✓ تصنيف وتحليل نتائج الاستمارة والمقابلات، ثم الخروج باستنتاجات مبنية.

4- المفاهيم المهيكلة للدراسة

المفاهيم والمصطلحات الموضوعية هي مجموع الكلمات التقنية التي تعتمد في الأسلوب الجغرافي للتعبير عن أشياء وأحداث أو عمليات وظواهر (جنان، 2010)؛ والتي يفقد تحديد المعنى الدقيق لها إلى تفسير عناصر الإشكالية المدروسة بشكل سريع. وهكذا، فالمفاهيم التي يركز عليها هذا البحث، هي كالاتي:

- ✓ **التدريس:** هو الدراسة العلمية لأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ (الدرّيج، 2003). ذلك أن الأمر لا يتعلق بطرائق التدريس وإنما بنتيجة هذا الفعل، ومدى تأثيرها على الطلبة.
- ✓ **الجغرافيا:** هو علم يتموقع في ملتقى الطرق بين العلوم الطبيعية والعلوم البشرية والاجتماعية (Pierre G, 1970). كما أنه علم له أسسه ومقوماته الإبيستيمولوجية التي تميزه عن العلوم الأخرى، وله كذلك مفاهيم ونظريات ومقاصد تؤطره وتوجهه، وتجعل منه علما نفعيا في خدمة المجتمع (باحو، 2012). وبذلك فهو علم وظيفي يساهم في تحليل عناصر المجال الجغرافي، ووضع تخطيط وتنظيم جديد، بهدف تجاوز المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، أي أنه علم يزواج بين المعرفة الأكاديمية الصرفة والميدان التطبيقي المحض.
- ✓ **الجامعة:** فضاء عمومي مؤسساتي ينشر المعرفة الأكاديمية المؤطرة، بهدف تكوين أطر المستقبل.
- ✓ **الإكراهات:** هي مجموع العراقيل التي تقف أمام تنمية القدرات التقنية والمهارية والمعرفية لدى الطلبة؛
- ✓ **آفاق التطوير:** يقصد بها الآفاق المستقبلية لتطوير تدريس وتعلم وحدات الجغرافيا بالجامعة المغربية، قصد الرفع من كفايات ومهارات التفكير الجغرافي لدى الطلبة.

ثانيا: نتائج الدراسة

يصطدم تدريس وتعلم وحدات الجغرافيا بالجامعة المغربية بالعديد من التحديات، والتي تتداخل فيما بينها بشكل مباشر، كما أنها تصب في بعضها البعض في شكل حلقة دائرية. هذه التحديات ترتبط في جزء كبير منها بطبيعة الوحدات المدرسة، وفي جزء آخر منها بنوعية الطلبة الذين يلتحقون بفصول هذا المسلك. وهكذا، فإن فهم وتشخيص هذه التحديات ضروري لمناقشة مستقبل وآفاق هذا التخصص بضرورة التجديد والابتكار في طرائق التدريس، وإعادة النظر في الإطار الوصفي للوحدات. وهكذا فقد خلصنا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

✓ **النتيجة الأولى:** عدم تمكن الطلبة من توزيع وحدات مسلك الجغرافيا على الفروع الثلاثة لهذا العلم؛ ينقسم علم الجغرافيا إلى ثلاثة فروع أساسية، وهي: الفرع الأول: الجغرافيا الطبيعية والذي يضم مجموعة من الوحدات مثل: المناخ، الهيدرولوجيا، الجيومورفولوجيا، البيوجغرافيا...، والفرع الثاني: الجغرافيا البشرية ويضم جغرافية الأرياف، وجغرافية المدن، وجغرافية اقتصادية...، ثم الفرع الثالث: الجغرافيا الإقليمية والذي يهتم بدراسة التفاعل بين مختلف العناصر الطبيعية والبشرية للمجال الجغرافي.

جدول رقم 1: تصنيف الطلبة لوحدات مسلك الجغرافيا على الفروع الثلاثة للعلم ب %

الفصول	الفصل الأول	الفصل الثالث	الفصل الخامس	المتوسط
متمكن	23	42	65	43.33
غير متمكن	77	58	35	56.66
المجموع	100	100	100	100

المصدر: استمارة ميدانية، نونبر 2017

يبرز الجدول رقم 1 أن أزيد من 56 % من الطلبة لم يتمكنوا من تصنيف وحدات مسلك الجغرافيا بشكل صحيح على الفروع الثلاثة الأساس لهذا العلم؛ ذلك أن عدد كبير منهم صنف وحدتي البيوجغرافيا وجغرافية المغرب مثلا، ضمن الجغرافيا البشرية، كما أن البعض أدرج وحدة جغرافية المدن ضمن الجغرافية الإقليمية.

✓ النتيجة الثانية: اختلاف طرائق التدريس وكيفية تصريف المعرفة الجغرافية بين التعليمين الثانوي والجامعي؛ ذلك أن أزيد من 57 % من طلبة سلك الإجازة اعتبروا أن الكيفية التي تصرف بها المعلومة الجغرافية تمثل التحدي الكبير الذي يواجههم عند تعلم الكفايات المعرفية والمنهجية المرتبطة بوحدة مسلك الجغرافيا (جدول رقم 2).

جدول رقم 2: تحديات الكفايات المعرفية التي تواجه طلبة مسلك الجغرافيا ب %

الفصل الخامس	الفصل الثالث	الفصل الأول	الفصول أشكال التحديات
20	25	23	تكرار المفاهيم والمعارف ضمن وحدات مسلك الجغرافيا
13	14	12	تعدد الوحدات وصعوبة الربط بينها داخل الفصل وبين الفصول
22	--	--	عدم التوفيق بين تعلم الوحدات وتحضير مشروع نهاية الدراسة
45	61	65	طرائق التدريس (كيفية تصريف المعلومة الجغرافية)
100	100	100	المجموع

المصدر: استمارة ميدانية، نونبر 2017

✓ النتيجة الثالثة: تكرار وتداخل المفاهيم والمعارف بين وحدات مسلك الجغرافيا؛ حيث إن حوالي 18 % من الطلبة أكدوا على أن تكرار المفاهيم بين الوحدات وتعددتها، فضلا عن صعوبة الربط بينها، يشكل أبرز عائق لهم في التكوين الجغرافي (جدول رقم 2).

✓ النتيجة الرابعة: عدم الربط بين الجانبين النظري والتطبيقي في التكوين الجغرافي؛ حيث إن حوالي 39 % من الطلبة أكدوا على ذلك؛ كما أن أزيد من 61 % منهم اعتبروا أن التحدي الكبير الذي يواجههم عند تعلم الكفايات المهاراتية يكمن في صعوبة اكتساب تقنيات قراءة ووضع الخرائط، إلى جانب عدم تكافؤ الفرص عند تعلم وحدات الأعمال التطبيقية (جدول رقم 3).

جدول رقم 3: تحديات الكفايات التقنية والمهاراتية التي تواجه طلبة مسلك الجغرافيا ب %

الفصل الخامس	الفصل الثالث	الفصل الأول	الفصول أشكال التحديات
38	43	49	صعوبة فهم وتعلم مهارات وتقنيات قراءة ووضع الخرائط
46	37	33	عدم الربط بين الجانب النظري والتطبيقي (الرحلات الميدانية)
16	20	18	عدم تكافؤ الفرص في تعلم وحدات الأعمال التطبيقية (TP)
100	100	100	المجموع

المصدر: استمارة ميدانية، نونبر 2017

✓ النتيجة الخامسة: تدنى ظروف التحصيل العلمي المتعلقة أساسا بضعف الإمكانيات والأدوات التقنية؛ حيث إن أزيد من 35 % من الطلبة أكدوا على أن أبرز تحدي يواجههم في التكوين الجغرافي، يتمثل في عدم

الاهتمام بالتكوين الجغرافي ضمن كلية الآداب كحقل فكري له خصوصياته، فيما يتعلق برصد الميزانيات (جدول رقم 4).

جدول رقم 4: تحديات مرتبطة بظروف التحصيل العلمي التي تواجه طلبة مسلك الجغرافيا ب %

الفصل الخامس	الفصل الثالث	الفصل الأول	الفصول أشكال التحديات
28	23	20	ضيق الغلاف الزمني المخصص لكل وحدة
8	15	18	برمجة وتوزيع حصص تدريس الوحدات في الأسبوع
41	35	30	ضعف الإمكانيات والأدوات التقنية الخاصة بالمسلك
22	27	32	غياب الأساتذة وتركيز الحصص التعويضية والإضافية
100	100	100	المجموع

المصدر: استمارة ميدانية، نونبر 2017

بالإضافة إلى ذلك فحوالي 24% من الطلبة يعتبرون أن طريقة برمجة وتوزيع الحصص الدراسية في الأسبوع، يشكل أبرز عائق لهم عند تعلم وحدات الجغرافيا؛ فضلا عن انخفاض الغلاف الزمني المخصص للتحصيل الجامعي بالنسبة لكل وحدة، حيث يقل عن 15 ساعة في كل دورة، أي بنسبة أقل من 7% مقارنة مع الغلاف الزمني (45 ساعة) المسطر في الإطار الوصفي لمسلك الجغرافيا (2014-2019)، كل هذا ينعكس على درجة استيعاب الطلبة لمفاهيم ومعلومات بعض الوحدات.

ثالثا: مناقشة نتائج الدراسة

يمكن مناقشة النتائج التي توصنا إليها من خلال هذه الدراسة، على الشكل الآتي:

✓ إن عدم وجود وحدات تهتم بالفكر الجغرافي ومدارسه الكبرى، سواء في المرحلة الثانوية أو الجامعية، يجعل الطالب يدرس وحدات مستقلة عن بعضها البعض، حيث إنه لا يتمكن من تحقيق التكامل المعرفي بينها، وبالتالي لن يفلح في تصنيفها بشكل صحيح ضمن فروعها الأساس.

✓ إن اختلاف طرائق تدريس وحدات الجغرافيا بين مرحلتي التعليم الثانوي والجامعي، يعد مؤشرا أساسيا على أن حجم التحدي الذي يواجهه الطلبة في اكتساب المعارف والمهارات الجغرافية كبير جدا. ذلك أن هذا الأمر يرجع في جوهره إلى كون المادة تسند، لتغطية الخصائص، في المرحلة الثانوية (الإعدادية والتأهيلية) لغير المتخصص (أستاذ اللغة العربية، أستاذ التربية الإسلامية، أستاذ الفلسفة)، والذي غالبا ما يشكو نقصا في المادة المعرفية والمهارات التطبيقية؛ مما يعني أن طرائق التنزيل الديدانتيكي للمعرفة الجغرافية تختلف من مستوى لآخر، كما أن استيعاب وحدات الجغرافيا من قبل التلاميذ يكون غير دقيق وضعيف، إن لم يكن خاطئ في كثير من الأحيان. لذلك، فالطلبة الذين يفدون سنويا على الكلية، يجدون فرق كبير في طرائق تصريف المعرفة الجغرافية، حيث يكونون غير معتادين على إعادة ترتيب الأفكار وتحليلها بشكل منطقي يراعي المسببات والنتائج.

✓ إن تداخل علم الجغرافيا مع تخصصات علمية أخرى، يشترك معها أدوات ومنهجية البحث الميداني؛ فضلا عن تزايد تقسيمه إلى عدة فروع، وإدراج وحدات متشابهة من حيث المحاور في سلك الإجازة (دينامية المجال الريفي والتهيئة الريفية؛ دينامية المجال الحضري والتهيئة الحضرية؛ جغرافية المغرب الإقليمية وجغرافية المغرب العامة؛ نبات وتربة ومرفومناخ وإعداد السواحل...). بالإضافة إلى عدم التقاطع الأفقي والعمودي بين

وحدات المسلك؛ حيث إن فروع الجغرافيا الطبيعية غير متكاملة ولا تتقاطع مع نظيرتها في الجغرافيا البشرية، بالرغم من صلة التجاور المكاني التي تؤطر عملهما. كل هذا يتولد عنه اضطراب وتشتت للجهد التعليمي عند الطلبة، مما ينعكس سلبيا على نتائجهم وجودة أبحاثهم النهائية. كما أن المواد التكميلية والمنهجية (الإحصاء، علم الاجتماع، قراءة وتحليل الخرائط، اللغة والمصطلحات...)، والتي تساعد الجغرافي في فهم الواقع وتحليله وتفسيره، يتم إسناد تدريسها، أحيانا، في مسلك الجغرافيا لغير المتخصص؛ فضلا عن أن محتوياتها لا صلة لها بالجغرافيا؛ مما يجعل الطلبة لا يفلحون في إيجاد العلاقات التفاعلية بين مختلف وحدات منطقة الدراسة في مشروع نهاية التكوين، مثل: ما هي العلاقة التي تجمع بين الهيدرولوجيا والجغرافية الحضرية (طبيعي- بشري)؟ وما هي العلاقة بين الجغرافية الاقتصادية وجغرافية السكان (بشري- بشري)؟ وما هي العلاقة بين المناخ والغطاء النباتي والتربة (طبيعي- طبيعي)؟

✓ إن اعتماد الأعمال التوجيهية والتطبيقية في بعض الوحدات فقط، يجعل استيعاب الوحدات الأخرى المتداخلة معها أمرا صعبا، كما أن المنهاج المعتمد غير متكامل الجوانب، حيث يركز على حشو الطالب بالمادة المعرفية، دون إتاحة الفرصة لاكتساب الكفايات والمهارات التي لها ارتباط مباشر بالواقع المحلي المعيش. بالإضافة إلى ذلك، فباعتبار الجغرافيا أولا علما نظريا يركز على تعلم فك أشكال التنظيم المكاني للظواهر الجغرافية، وثانيا علما تطبيقيا يعتمد على الممارسة العملية، والتي تكتسب من خلال الدراسة الميدانية المتكررة وليس من الزيارات الميدانية الخاطفة، والتي تمكن الباحث من قواعد تحليل المنظومة المكانية.

✓ إن ضعف الإمكانيات والوسائل التعليمية، والمتمثل في عدم وجود مختبرات متخصصة ومراكز للبحث، فضلا عن عدم تنظيم الرحلات الميدانية الدراسية، يصعب مأمورية الطلبة في استيعاب المفاهيم والإطار النظري للوحدات؛ كما يحصل عندهم تضارب في التمثيل الذهني للأشكال الجغرافية، وذلك على اعتبار أن علم الجغرافيا هو علم المشاهد بامتياز.

وعموما فضبايية وعدم استمرارية الرؤى والإستراتيجيات البحثية على الصعيد الوطني في العلوم المهتمة بالمجال والمجتمع بشكل خاص، فضلا عن ضعف التنسيق بين المؤسسات الحكومية ومختبرات وفرق البحث بالكليات، يجعل التوجه العام للبحث العلمي يسير وفق خطى ارتجالية غير موجهة؛ حيث إنه لم يستطع تأسيس وتكوين مدرسة فكرية مستقلة بمناهجها البحثية في حقل الجغرافيا.

رابعا: آفاق تطوير تدريس وتعلم الجغرافيا في الجامعة المغربية

نتسم الجغرافيا في الجامعة المغربية [بشكل عام] ببحثها المستمر عن تحسين فعالية تدريسها للرفع من فائدتها الاجتماعية (الحيداوي، 2005). وفي هذا السياق، فتطوير منظومة التدريس بالتعليم العالي، يتأسس على ضرورة ربط التكوين الجغرافي والكفايات المراد تحصيلها بمتطلبات وواقع الشغل ببلادنا؛ من خلال إعادة النظر في المناهج والوحدات المدرسة، والتي يغيب عنها الجانب المتعلق بالانسجام والتكاملين المعرفي والمنهجي؛ فضلا عن ضرورة خلق جسور للتأهيل المهني للطلبة في المسلك، حتى تسمح لهم بالاندماج في الحياة العملية والاستجابة لحاجيات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والمقاولة الوطنية والأجنبية من الموارد البشرية. وهكذا، وبناء على نتائج الدراسة الميدانية، فلنطور تدريس وتعلم وحدات الجغرافيا بالجامعة المغربية نقترح ما يأتي:

✓ ضرورة اعتماد وحدة الدراسة الميدانية كوحدة أساسية ومستقلة في جميع فصول سلك الإجازة، نظرا لكونها ستشكل صلة وصل بين المعرفة النظرية والممارسة التطبيقية، وبالتالي سيحصل تكامل معرفي لدى الطلبة بين مختلف الوحدات. وفي هذا الإطار، يجب التركيز في الفصل الأول على تلقين الطلبة الجوانب النظرية المتعلقة بمناهج البحث الجغرافي، وكيفية إعداد التقارير الميدانية سواء في الجغرافية الطبيعية أو البشرية، فضلا عن قواعد قراءة وتحليل المشاهد الجغرافية واستنتاج التفاعلات بين مختلف عناصرها. في حين يجب تخصيص الفصول الأخرى لدراسة موضوعات محددة، تعد نقطة بداية مشروع نهاية الدراسة. إلا أن تحقيق هذا الأمر يرتبط بمدى توفير مستلزمات الدراسة الميدانية (موارد بشرية، خرائط بمختلف أنواعها، مختبرات وتجهيزات، قاعات للإعلاميات، حافلة خاصة...).

✓ إعادة النظر في طرائق التدريس المتبعة، وذلك عبر التركيز على تنمية خبرة وكفاءة الطلبة في تحليل عناصر المشهد الجغرافي، بالموازاة مع توسيع دائرة المعارف الجغرافية؛ ذلك أن الخبرة والمهارات التقنية لا تأتي بالجانب النظري فقط، بل تتأسس على التدريب والممارسة الميدانية. وفي هذا السياق، يلزم ربط المواد التكميلية والأعمال التوجيهية بشكل مباشر بالوحدات الأساسية. وإعطاء الجانب التطبيقي أهمية بالغة.

✓ تعليم الطلبة كيفية الملاحظة الميدانية وتعويدهم على الرؤية الصحيحة للمشاهد المجالية، ثم تدريبهم على التحليل الشامل للظواهر الجغرافية، وكيفية تمثيلها. بالإضافة إلى ذلك يجب أن ندفعهم إلى التساؤل واستعمال الكتابة الجغرافية عند صياغة تقارير التدريبات الميدانية.

✓ خلق تقاطع وتجاسر على مستوى وحدات الجغرافيا المدرسة بين التعليم الثانوي والجامعي، وذلك عبر التركيز على بناء خيط ناظم بينهما، والذي من شأنه أن يسهل عملية التوجيه الجامعي، ويجعلها تتم بشكل صحيح. فمثلا مصطلح الجيومورفولوجيا والهيدرولوجيا والمرفومناخ، التي هي وحدات أساسية لم ترد في الكتب المدرسية إلا في مواضع هامشية؛

✓ إعادة النظر في ترتيب وحدات المسلك المعتمدة لخلق انسجام بينها داخل الفصل الواحد أولا وبين جميع الفصول ثانيا، وذلك عبر تقسيم الوحدة إلى محاور أساسية توزع على الفصول، بشكل يراعى فيه التكامل بين الشق النظري والتطبيقي، والجانب المتعلق بالمهارات والكفايات الأساسية المرتبطة بإنتاج المعرفة الجغرافية الجديدة. وفي هذا السياق، فقد ارتكز توزيع الوحدات الرئيسية ومحاورها، على مبدأ التسلسل المعرفي والمهاراتي، فضلا عن التقاطعات الأفقية والعمودية للمحاور؛ ذلك أن وحدة الجغرافيا الطبيعية ووحدة الجغرافيا البشرية تعتمد بشكل أساسي في الفصل الأول والثاني والثالث، في حين وحدة الجغرافيا الإقليمية ووحدة قواعد وأدوات التهيئة تعتمد في الفصل الرابع والخامس والسادس، أما بالنسبة لوحدة المواد التكميلية والأعمال التطبيقية فيجب أن تعتمد في كل الفصول (جدول رقم 5).

جدول رقم 5: النموذج النظري المقترح لإعادة النظر في التكوين الجغرافي بالجامعة المغربية

الوحدات	الفصل الأول	الفصل الثاني	الفصل الثالث	الفصل الرابع	الفصل الخامس	الفصل السادس
الجغرافيا الطبيعية	جيومرفولوجيا 1	جيومرفولوجيا 2	جيومرفولوجيا 3	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx
	مناخ 1	مناخ 2	مناخ 3	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx
	بيوجغرافيا 1	بيوجغرافيا 2	بيوجغرافيا 3	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx
	هيدرولوجيا 1	هيدرولوجيا 2	هيدرولوجيا 3	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx
الجغرافيا البشرية	ج الأرياف 1	ج الأرياف 2	ج الأرياف 3	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx
	ج السكان 1	ج السكان 2	ج السكان 3	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx
	ج المدن 1	ج المدن 2	ج المدن 3	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx
	ج الاقتصادية 1	ج الاقتصادية 2	ج الاقتصادية 3	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx
الجغرافيا الإقليمية	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx	جغرافية العالم 1	جغرافية العالم 2	جغرافية العالم 3
	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx	جغرافية إفريقيا 1	جغرافية إفريقيا 2	جغرافية إفريقيا 3
	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx	ج البحر المتوسط 1	ج البحر المتوسط 2	ج البحر المتوسط 3
	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx	ج التراب الوطني 1	ج التراب الوطني 2	ج التراب الوطني 3
قواعد وأزمات التهيئة	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx	تهيئة الأحواض 1	تهيئة الأحواض 2	تهيئة الأحواض 3
	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx	التهيئة الريفية 1	التهيئة الريفية 2	التهيئة الريفية 3
	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx	التهيئة الحضرية 1	التهيئة الحضرية 2	التهيئة الحضرية 3
	xxxxxxx	xxxxxxx	xxxxxxx	تهيئة السواحل 1	تهيئة السواحل 2	تهيئة السواحل 3
المواد التكميلية والأعمال التطبيقية	إحصاء وتعبير بياني 1	إحصاء وتعبير بياني 2	إحصاء وتعبير بياني 3	برنامج SPSS	برنامج SPSS	برنامج SPSS
	قراءة خ الطبوغرافية	تحليل خ الطبوغرافية	الكارطوغرافيا	نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد	نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد	برنامج Arc Gis التحليل الموضوعاتي والنمذجة
	اللغة والمصطلحات 1	اللغة والمصطلحات 2	اللغة والمصطلحات 3	اللغة والترجمة 1	اللغة والترجمة 2	اللغة والترجمة 3
	دراسة ميدانية 1	دراسة ميدانية 2	دراسة ميدانية 3	دراسة ميدانية 4	دراسة ميدانية 5	دراسة ميدانية 6

المصدر: الإطار الوصفي لسلك الإجازة (2014-2019)، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة ابن زهر، أكادير + تصور شخصي،

نونبر 2017

إلا أنه على مستوى تقسيم الوحدات، فكل وحدة تتوزع إلى أربعة محاور أساسية، وكل محور يقسم على ثلاثة فصول دراسية؛ ذلك أنه في الفصل الأول يجب التركيز على الجانب النظري العام المتعلق بالمحور، مثل: (الجيومرفولوجيا 1: المفهوم، بنية الأرض، أنواع الصخور...)، وفي الفصل الثاني يتم إدراج الجانب المنهجي والمهاري (الجيومرفولوجيا 2: عوامل التشكيل الخارجي والداخلي، التحليل الطبوغرافي والجيومرفولوجي...)، على أن يتمكن الطالب في الفصل الثالث من تحليل وإنتاج معرفة جغرافية جديدة (الجيومرفولوجيا 3: إنجاز تقارير ميدانية تتعلق بالظواهر الجيومرفولوجية المرتبطة بمحيطه المحلي المعيش)؛ ونستمر بهذا الشكل في باقي الوحدات والمحاور الأخرى.

أما على مستوى وحدة الجغرافيا الإقليمية، فقد تم اقتراح محور جغرافية العالم باعتباره وحدة إقليمية، نظرا لكونه في ظل العولمة وتقلص المسافات أصبح عبارة عن قرية صغيرة؛ ومحور متعلق بجغرافية القارة الإفريقية تماشيا مع سياسة الدولة في إطار بناء وتعميق علاقات الشراكة والتعاون مع البلدان الإفريقية؛ وفي إطار ترسيخ العلاقات الاقتصادية والسياسية مع الدول الأوروبية فقد تم اقتراح محور جغرافية حوض البحر الأبيض المتوسط، فضلا عن إدراج محور متعلق بجغرافية التراب الوطني. وبهذا، يتمكن الطالب من خلال هذه الوحدة من إدراك، وبشكل متسلسل، جغرافية محيطه الدولي، والقاري، والجهوي، والوطني ثم المحلي.

تجب الإشارة هنا، إلى أن كل محور من محاور هذه الوحدات (جدول رقم 5) يتوفر على ورقة وصفية تشرح عناصره، بشكل يراعي مبدأ تحقيق التكامل والتدرج المعرفي والمنهجي في التكوين الجغرافي بين الفصول أفقيا أولا، وداخل الوحدة نفسها عموديا بين المحاور الأخرى ثانيا، وذلك لتجاوز التكرار والتناقض في تنزيل المعارف الجغرافية.

خاتمة

نستنتج انطلاقا مما سبق أن واقع تدريس وتعلم الجغرافيا بالجامعة المغربية، مع بروز نتائج الإصلاح على أرض الواقع، لازال يطرح مجموعة من التساؤلات، حول بنية المنظومة الجامعية وسيرها البيداغوجي. ولهذا، فنقيم المرحلة من طرف مختلف الفاعلين لمعرفة أين وصلت الجغرافيا، ولبلورة نموذج تربوي يسعى للتأهيل المهني للباحث الجغرافي، أضحت حاليا ضرورة ملحة.

إن بلوغ هذا الرهان يبقى مرتبطا بمدى تحقيق الاستقلالية والهوية الفكرية للبحث الجغرافي، على اعتبار أن ذلك يشكل أعلى مراحل النضج العلمي والوعي الاجتماعي لدى مختلف الباحثين، كما أنه سيسهم بفاعلية في تحديد الأهداف واختيار الوسائل التنفيذية لها، فضلا عن أنه سيولد الإرادة والعزيمة القوية لتحقيقها.

قائمة المراجع

- ✓ احفيظ، فانيدي. (2015). أزمة التدريس في التعليم، نحو تطوير النموذج الديدانكتيكي في حقل الجغرافيا. مطبعة الرباط، 168ص.
- ✓ الحيداي، لحسن. (2005). المقاربة الوظيفية في ديدانكتيك الجغرافيا: التعليم الثانوي الإعدادي نموذجا. دكتوراه الدولة في علوم التربية، جامعة محمد الخامس، كلية علوم التربية، الرباط.
- ✓ وحيدوي، دويدري، رجاء. (2000). البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارساته العملية. الطبعة الأولى، دار الفكر بدمشق، سوريا، 505ص.

- ✓ باحو، عبد العزيز. (2015) مقومات وأسس البحث الجغرافي: محاولة لرصد تطور الأسس النظرية والابستمولوجية لقضاياها وإشكاليته ومناهجه الأساسية. أعمال اليوم الدراسي الوطني الأول، حول جوانب من الاهتمامات البحثية الراهنة لعلوم تنظيم المجال. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، سلسلة ندوات ومحاضرات، إعداد وتنسيق إبراهيم كيدو، العدد 2، ص ص 9-35.
- ✓ ملكاوي، فتحي حسن. (2012). منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مطبعة طوب بريس، طبعة خاصة بالمغرب، 335 ص.
- ✓ الدريج، محمد. (2003). الكفايات في التعلم، من أجل تأسيس علمي للمنهج المندمج. منشورات سلسلة المعرفة للجميع.
- ✓ بلقفيه، محمد. (2002). الجغرافيا: القول فيها والقول عنها: المقومات الابستمولوجية. دار نشر المعرفة، الرباط، 210 ص.
- ✓ جنان، محمد. (2010). المنهج الجغرافي وتطور أدوات البحث في الجغرافية: حالة التعبير الكرطوغرافي في ديداكتيك الجغرافيا. مجلة دفاتر جغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز فاس، العدد 07، ص ص. 147 – 157.
- ✓ سيف، محمود محمد. (1998). أسس البحث الجغرافي. دار المعرفة الجامعية، مصر، 204 ص.
- ✓ **Pierre, George.,** (1970). Les méthodes de la géographie, Que sais-je ? n° 1398, P.U.F, Paris.
- ✓ **Zagor, Mohamed.,** (1990). Géographie et formation intellectuelle : Contribution à l'élaboration d'un modèle didactique et à son application au niveau de l'évaluation de licenciés Marocains au seuil de la profession d'enseignant, Thèse présente en vue de l'obtention de grade de docteur en sciences de l'éducation. Vrije université Brussel. 340 p.